المنتقى

من

كشف المُخبّا عن فنون أوربا

المنتقى من كشف المخبا عن فنون أوربا

انتقاء: مدحت هنداوي

الكتاب الأصلي:

كشف المخبا عن فنون أوربا

تأليف: **أحمد فارس الشدياق**

اعتمدت على نسخة إلكترونية

مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة

هاشتاج الفيس بوك

#_المنتقى_من_كشف_المخبا_عن_فنون_أوربا_لأحمد_فارس_الشدياق

رابط صفحة تحميل الكتاب:

/https://www.hindawi.org/books/13068491

(١) [التمدن عندهم والأخلاق عندنا]

ص ٨

ويعلم الله أني مع كثرة ما شاهدت في تلك البلاد من الغرائب

وأدركت فيها من الرغائب

كنت أبداً منغص العيش مكدره

كمن فقد وطره .. ولزمته معسره

لا يروقني نضار ولا نضرة .. ولا نعمة ولا مسرة

ولا طرب ولا لهو .. ولا حسن لا زهو

لما أني كنت دائم التفكر في خلو بلادنا عما عندهم من التمدن والبراعة والتفنن

ثم تعرض لي عوارض من السلوان

بأن أهل بلادنا قد اختصوا بأخلاق حسان

وكرم يغطي العيوب ويستر ما شان

ولا سيما الغيرة على الحرم

وصون العرض عما في هذا الصوب يذم

ثم أعود إلى التفكر في المصالح المدنية

والأسباب المعاشية .. وانتشار المعارف العمومية
وإلى إتقان الصنائع .. وتعميم الفوائد والمنافع
فيجفل ذلك السلوان ..وأعود إلى الأشجان

---

(٢) [كاليفورنيا عربية]

ص ٤٠

أما كاليفورنيا فكان كشفها في سنة ١٥٣٥ م ...
وهذه اللفظة محرفة عن لفظتين في اللغة الإسبانيولية
معناهما: "الفرن الحامي"
ولا يبعد أن يكون ذلك عربياً
فإن "كالي" محرف عن "قالي" من: قليت اللحم ونحوه
و"فورنيا" من "الفرن".

---

(٣) [الغرلة والمهر]

ص ٥٨

عامة الإنكليز يقرءون التوراة والإنجيل بلغتهم
ولكن قلَّ منهم من يفهمها

وقد جرى مرة ذكر ذلك بحضرة جماعة
ادعوا بأنهم لا يفوتهم شيء من فهم الكتاب الأول
وأن سعادة بلادهم وغبطة أحوالها إنما تسببت عن ذلك

فقلت لهم: أما السعادة والغبطة فلست أباحثكم فيهما
ولا أسلم لكم بأنكم أسعد من غيركم
وأما الفهم فما أخالكم تفهمون ما تقرءون في التوراة

قالوا: سلنا عن شيء منها

فقلت: على شرط أن لا يسوءكم

قالوا: لا تخشَ من الإساءة فإن هذه البلاد بلاد الحرية

قلت: ما معنى "الغُرلة" ..
حين طلب شاول من داود أن يمهر ابنته مائة غلفة من أهل فلسطين ..
فمضى داود وقتل منهم مائتين وجاء بغلفهم إلى شاول؟

فقالوا: لا ندري

فقلت: بل لا تدرون أيضاً كيف أن الرجل يمهر المرأة
فإن عادتكم بخلاف ذلك

قالوا: بيّن لنا هذا

قلت: ها هنا نساء
وأخشى أن أفسر لكم معنى اللفظة فتنقبض النساء

قالوا: إذا كان كلام الله فلا حرج

ففسرت لهم حينئذ معناها

فما كان من إحدى النساء إلا أن أخذت الكتاب ورمت به الأرض
وقالت: "معاذ الله أن يكون هذا الكلام كلام الله! "

---

(٤) [غناء الإنجليز]

ص ٦٣
أما غناؤهم [الإنجليز] فلا يمكن لذي ذوق سليم أن يطرب به
وقد سمعت أغاني الفرنسيس وسائر الإفرنج

فوجدت بعضها يطرب ويشجي
لأن فيها مداً وترجيعاً

فأما أغاني الإنكليز
غير التي يتلقونها من الطليانيين والفرنساويين في الملاهي
فكلها نبر ودرج

---

(٥) [تفسخ العلاقات الأسرية وانتشار الفاحشة]

ص ٦٤
ومن طبعهم [الإنجليز] أيضاً أن لا يحترموا الشيخوخة من حيث هي شيخوخة
ولا تهاب الأولاد والديهم كما تهاب الأولاد عندنا
ولا يحن الوالدون أيضاً على أولادهم كما عندنا

ولذلك يقع كثيراً أن الأب يقتل ولده
والولد يقتل أباه وأمه .. كما يأتي بيان ذلك
وقد يحدث عندهم مضاجعة الأب ابنته
وهو عند الفرنسيس أكثر
ولكن لم يبلغني أن ولداً ضاجع أمه

وفي المدن الجامعة قد تتواطأ الأم وبنتها على الفحش والفساد
أو الأخت وأختها

(٦) [ترجمة مناخر الله وأحشاء الله]

ص ٧١
لا حمق أكثر من أن يترجم من لغة إلى أخرى بعين الألفاظ
والتراكيب
إذ لا يتصور بالبال أن لغة تطابق أخرى في التعبير

فكيف يمكن أن يقال بالعربية: "خرج الدخان من مناخر الله"
كما يقال بالعبرانية
أو "أحشاء الله" كما يقال باليونانية

وقد ذكرت ذلك لعدة من أهل المعارف منهم
وأنه من التعبير الغير اللائق بجلاله تعالى

فكلهم قاسه على "وجه الله" و"عين الله" و"يد الله"

من دون فرق بين نسبة الأعضاء الحقيرة إليه وبين غيرها

(٧) تشاؤم الإنجليز وتفاؤلهم

ص ٧٥

أما ما عندهم من الطيرة والتفاؤل ..

فقد ذكر صاحب الجرنال المسمى "بأخبار العالم" (عدد ٦٧٤):

أن الإنكليز يتطيرون من لقاء المرأة الحولاء ما لم تبادر بالكلام.

...

ومن السفر يوم الجمعة.

وأن يكون المدعو في عيد الميلاد رابع عشر شخصًا.

.....

وأن تبقى أغصان الميلاد في البيت بعد عيد "كندلماس" ..

وإلا فإن إبليس نفسه يأتي ويأخذها.

.....

وأن يضع أحد ملحاً في صحفة غيره.

وكذا لو قلب أحد وعاء الملح على المائدة.

وأصل ذلك أن بعض المصورين الطليانيين صور العشار الأخير

ويهودا مبدداً للملح.

.....

وعثار إنسان وهو مرتقٍ في الدرج يدل على الزواج.
والإكثار من الضحك يعقبه البكاء.

.....

وتأويلهم للأحلام قريب من تأويلنا.
فالحلم بكلب دليل على صديق.
وبحية أمارة على عدو.
وبامرأة سيئة دليل على شر ومصيبة.

.....

وإذا أراد أحد أن يفتح دكاناً أو تعاطى مصلحة مهمة فلا يبدأ به يوم الجمعة.

.....

ومن أوهامهم أيضاً الاعتقاد بظهور روح الميت عند قبره.

.....

ومن ذلك اعتقادهم بأنه متى احتضر شخص حضر في منزله روح يسمونه رصد الميت ..
فيسمع له قرع على الباب أو الحائط أو صوت نحو صوت جر السلاسل أو طنين الجلاجل ..

فإذا سمع ذلك منه ثلاث مرات كان الموت بعدها لا محالة.

.....

وفي بلاد الفلاحين .. بل وفي المدن الجامعة أيضاً ..
نساء يدعين علم المغيبات بطرقة مختلفة ..
منها التأليف بين أوراق اللعب المزوقة.

.....

ومنهن أيضاً من تبصر البخت برؤية الكف.
وقد رأيت كتباً مطبوعة في علم الكف والهيئة فيها من الأحكام نحو ما في كتبنا.
ومنهن من تدعي إحضار الغائب وتشخيصه لعين السائل في مرآة ونحوها كما في مندل مصر.

قلت (مدحت هنداوي):
هذا دليل كذب العلمانيين العرب الذين تعودوا تعيير شعوبهم بأنهم وحدهم من يعتقدون في التشاؤم والتفاؤل والحسد والعين والجن والأرواح والدجل والشعوذة .. وأن "الأسياد" في الغرب ليس عندهم شيء من هذا.

(٨) [الحكم على مرتكب القتل بالجنون]

ص ٨٤

كثيراً ما يحكم القضاة أو "الجوري" على مرتكب القتل بالجنون إعفاءً له من القصاص.

فتذهب الحكمة سدى في {ولكم في القصاص حياة} أو في "القتل أنفى للقتل".

و"الجوري" هم اثنا عشر رجلاً يقع عليهم الاختيار.

فيجتمعون مع القاضي لفصل الدعاوى.

قلت (مدحت هنداوي):

الشدياق يقصد "هيئة المحلفين" Jury.

---

(٩) [كلام الإنجليز]

ص ٨٨

تحيتهم في الصباح هي أن يقولوا: "صباح طيب"

وفي المساء: "مساء طيب"

ثم يردفوها بقولهم: "هَودُو يُودو"

وترجمتها: "كيف تعملون أنتم تعملون؟ "
وهو سمة تنبئ عن مزيد ميلهم وتوقانهم إلى العمل
حتى إنه يوجد في لغتهم نحو عشرة ألفاظ مرادف العمل

.....

ولا يخاطبون بضمير المفرد إلا الباري تعالى أو في الشعر ...
فأما عند الفرنسيس فاستعماله إنما هو في مخاطبة الإدلال
كأن يكلم المحب محبوبته أو الوالد ولده

.....

وليس للهجتهم مطلقاً نغمة مطربة
سواء تكلم بها جاهل أو عالم .. أو ولد أو امرأة
إذ ليس في كلامه مد ولا حركات طويلة
وأصوات الرجال من حناجرهم
بخلاف اللغة الفرنساوية
فإن فيها غنة تستحب من الأولاد والجواري جداً

.....

ومع أن لغة الإنكليز من اللغات المستحدثة
ولم تشهر إلا وأعقبها التمدن وطبع الكتب ..

فلكل أهل صقع عندهم كلام ولهجة خاصان بهم
فلا يكاد أحدهم يفهم من صاحبه شيئاً
بمنزلة ما عند أهل الشام والمغاربة من الفرق

.....

وإذا خاطبوا أحداً بكلام توبيخ وغيظ قالوا له: " سِر "
وهي بمعنى "سيد"
حتى إنهم يقولونها عند طرهم كلباً ونحوه
فيقولون مثلاً: "اخسأ يا سيد "
وقد يستعملونها أيضاً لتعظيم المخاطب وإجلاله
ومن الغريب في هذه اللفظة أنها بالفارسية بمعنى "رئيس"
ووافقها أيضاً في العربية لفظة "السري"
فلا أدري أي اللغات هي الأصل لها.

.....

وإذا خاطب زوجته أحد من الخاصة بلفظة "مادام"
كان ذلك إشارة إلى تنافرهما
فخطاب الرضا إنما هو أن يقول لها "يا محبتي" أو "يا عزيزتي"
وربما قالوا: "يا قلبي"

ولا يكادون يفهمون: "يا روحي" و"يا عيني"
ويكثرون من ذكر "الشيطان" في حالتي التعجب والاستفهام
فيقولون: "أين الشيطان كنت؟ "
ويضيفون لفظة "مان" بمعنى "الرجل" إلى كل شيء
فيقولون للسقاء: "واطرمان" أي "رجل الماء".

---

(١٠) [مخاطبات الإنجليز وزياراتهم]

ص ٨٩
ومن عادتهم في المكاتبة ..
إذا أراد أحد من الأعيان أن يكتب إلى شخص يجهله ..
أن يقول: "فلان يسلم على فلان ويسأله عن كذا "
وفي المرة الثانية يكتب له: "سِر"
وفي الثالثة أو الرابعة: "دير سر" أي "السيد العزيز"
وإذا خرق حجاب الكلفة بينهما كتب له: "مي دير سر" أي "سيدي العزيز"
وإذا استحكمت الألفة كتب له: "عزيزي الخواجة فلان"
فإذا طالت كتب: "عزيزي فلان"

ولهم عادة قبيحة حين يكتبون أسماءهم في آخر الكتاب مما عرف "بالإمضاء"
وذلك أنهم يكتبونها مُثبَّجة معماة
بحيث لا يقدر أحد على قراءتها إلا من مرن عليها ...

وأصل ذلك أن من يكتب عندهم خطاً حسناً يُزَن بأنه معلم للصبيان أو كاتب عند تاجر
فأما من يعيش من أملاكه فلا يلزمه ذلك

ويقابله عندنا قبح عادة الذين يمضون أسماءهم ويهملونها عن الإعجام.

ولا أدري ما سبب هذه العادة الذميمة الموجبة للإبهام والالتباس
والظاهر أن منشأها الكِبْر أيضاً

فإن المكاتب يظن أن اسمه قد بلغ من الشهرة والتنويه بحيث لم يحتج إلى إعجامه
والدليل على ذلك أنهم يكتبون تحت أسمائهم حرف الميم كناية عن "معروف"

.....

لا ينعتون المكتوب إليه بالأجل والماجد والأكرم والمفخم وغير ذلك

إلا أنهم يطيلون غالباً في الإمضاء فيكتبون:

"أنا باق يا سيدي عبدك الأحقر المطيع فلان" ...

وعادة العرب بخلاف ذلك

فإنهم يسهبون في افتتاح الرسالة .. ويوجزون في الإمضاء

فإذا كتبت مثلاً: "الداعي فلان" أو "عبدكم فلان" كفى

وأهل تونس والمغرب يكتبون: "كاتبه فلان".

ص ٩٠

وكما اختلفت عادتنا وعادتهم في المكاتبة والخطاب ..

كذلك اختلفت في الزيارة واللقاء.

فإنك إذا دخلت على أحد من أهل العربية ..

احتفى بك غاية الاحتفاء .. وإن لم يكن بينكما صلة أو معرفة.

وعند الانصراف لا يزيد على أن يقول لك: "في أمان الله"

وربما لم يقم لك.

وإذا دخلت على إفرنجي أراك أنه مشغول عنك بما هو أهم من الزيارة

وسألك أن تسرع في عرض حاجتك.

وعند انصرافك من عنده ينهض لك .. ويرافقك إلى الباب.

وعند الفرنسيس لا بد من أن يكلمك هناك كلاماً يوجب وقوفكما ولو دقيقة.

إشارة إلى أنه لم يمل منك.

---

(١١) [عدم فضول الإنجليز]

ص ٩١

ويعجبني من الإنكليز خلالٌ ..

منها: أنه ليس عندهم فضول وتكليف على الدخيل فيهم ..

بل ولا على من هو منهم.

فلا يزورونه في غير وقت الزيارة

ولا يستعيرون منه

ولا يتعرضون لما يأتيه

فلو رأوه مثلاً مضطجعاً على قارعة الطريق لم يسألوه لأي سبب تفعل ذلك؟

...

وإذا زارك أحدهم ورأى عندك مثلاً امرأة أو نساءً ..
لم يهمه أن يسألك عن سبب زيارتهن مما لا بد منه في بلادنا
وكذا لو رأوك تماشي امرأة في الطريق أو تخاصرها

...

هذه الخلة هي صنو لأول خلة ذكرتها من معايبهم
في كون كل واحد منهم لا يهتم إلا بشأنه
ولا غَرْو أن يكون بعض الخلال ممدوحاً من وجه ومذموماً من وجه آخر.

---

(١٢) [رضاهم بالقليل وقلة الحسد فيهم]

ص ٩٢
ولا تكاد تسمع خادماً يطعن في مخدومه
أو خادمة تعيب مخدومتها
وإن كانا يكابدان عندهما

أما في بلادنا فقلما تجد خادماً راضياً عن سيده
بل يعتقد أنه هو أولى بالسيادة
أو أن شرف مخدومه متوقف على بقائه عنده.

ومن هذا القبيل عدم بخس الناس حقهم.
فإذا نبغ أحد فيهم في فن أو صنعة ..
لم يجد من يتصدى لتجهيله وتخطئته حتى يوقفه عن تقدمه ...
لا .. بل يجد من ينشطه وييسر له أسباب العلم

أما في بلادنا فإذا نبغ أحد في شيء بادره حساده بقولهم: " هو مُدَّعٍ، هو حمار، هو متطفل".

---

(١٣) [العمل فوق الزيارات]

ص ٩٣
لكل شيء عندهم وقت .. ولكل وقت شغل.
فإذا اتفق أن زارهم أحد في ساعة الشغل ..
لم يتحاشوا أن يقولوا له مثلاً:
"قد أنسنا بك ولكن علينا قضاء ما لا بد منه من المصالح،
فلا تؤاخذنا وزرنا في يوم كذا"

فينصرف عنهم عاذراً لا عاذلاً
لأنه هو أيضاً يعاملهم بمثل ذلك.

أما عندنا فربما تعطلت مصالح الإنسان بكثرة زواره
حتى يضطر أخيراً إلى أن يحمل وسادته ويقول: "شفا الله مريضكم"

---

(١٤) [حسن الترتيب من رجال الدولة]

ص ٩٣
وهذه الصفة .. أي حسن الترتيب ..
يظهر أثرها بزيادة من أهل الرئاسة والسيادة والإدارة منهم.

فإن رجال الدولة إذا أرادوا أن يباشروا أمراً من الأمور الجسيمة ..
فإنما يباشرونه بغاية الإحكام والضبط ..
بحيث لا يوجب تغييراً ما في الأحكام ..
ولا إزعاجاً بشيء على الرعية.
فإذا اضطروا مثلاً في وقت الحرب إلى تجنيد جيوش وتجهيز بوارج وذخائر ..

فلا يكون ذلك موجباً لاضطراب الناس وتغيير أحوالهم أو لغلاء الأسعار.

...

وفي بعض البلاد [أي عندنا] إذا شرعت الدولة في تجهيز العساكر للحرب ..

رأيت جميع الناس يموجون في الأراجيف .. ويخوضون في التهاويل ..

فيظلم إذ ذاك القوي الضعيف

ويأخذ المرء بثأره من خصمه

وتختل أسباب التجارة

ويعدم الأمن بين المتعاملين

فتكون غائلة الحرب مشعوراً بها في داخل المملكة أكثر من خارجها

وقد كانت مدة إقامتي في هذه البلاد قبل حرب الروس مع الدولة العلية العثمانية وفي خلالها وبعدها ..

فلم يتبين لأحد فرق في شيء ما أصلاً.

(١٥) [الهيبة والخوف]

ص ٩٦

ولا هيبة لذوي المراتب والمناصب منهم .. أو للعسكر والشرطة .. عند المارين بهم.

وإن البنت التي لم تبلغ عشر سنين لتسعى بعد نصف الليل
وتمر بالشرطة فكأنها مرت على بعض أقاربها
فتسألهم ويجاوبونها
وتسترشدهم بغير حشمة ولا انقباض فيرشدونها ويذهبون معها

وليس للشرطي حق أن يدخل بيت أحد
إلا بإذن الديوان لسبب خطير

ولا يأخذ غريماً محقوقاً إلا من الطريق.

وفي البلاد الشرقية إذا كلمت المرأة بعض الشرطة أو العسس ليلاً ..
لم يلبث أن يمد إليها يده .. ويهتك حجابها ..
وهيهات أن ينتقم منه منتقم.

وعندي أن عدم الهيبة والخوف على صغر هو الذي يورث جيل الإفرنج جميعاً الإقدام والجرأة على الأمور والكلام ...

فإن إلقاء الرعب في قلب الصغير كلوافح الرياح العاصفة على الغرس
فمتى تمكن منه جعله بعد ذلك غير صالح للمساعي الجليلة.

وما عدا خوف الحكام والظلام ورؤساء الديانة في بعض البلاد الشرقية ..
فإن الأمهات يزرعن في قلوب أطفالهن الخوف من العفريت .. والروح الشرير .. والخيال .. والظلام .. وغير ذلك

فتَبَّت العادتان!

ولولا أن أهل الشرق من طبعهم التسليم للمقدور ..
لما رأيت منهم أحداً تصدق عليه صفة الرجولية.

(١٦) [الاختصار في الكلام]

ص ٩٦

ومن ذلك اختصارهم الكلام مع المخاطب إذا اعتمدهم بشيء

فإذا احتاج الصغير إلى الكبير في شيء قال له:
"إني أرجو أن تكون من المحسنين إليَّ بتنويل طلبتي فأكون لك من الشاكرين"

فهذا يغني عن قولنا:
"يا بدر الكمال، ويا بحر النوال، يا من يلتجئ إليه العافون، ويحج إلى كعبة فضله العائذون، ويا من صيته طار في الآفاق، وملأ الألسن والأوراق، ويا من ... ، ويا من ... "

فيكون جواب الكبير له بغير مَلْث:
"سأبذل جهدي في مصلحتك وأخبرك"

فهذا يغني عن قولنا:
"على الرأس والعين، حباً وكرامة، لا بد من ذلك فإن الخير مشترك، ونفعك من نفعي ... "

---

(١٧)ليس بين الإنكليز عُرقوب ولا أشعب.

ص ٩٧

وعندي أن هذا الاختصار هو في أغلب الأحوال أساس للمصالح ووسيلة للنجاح.

فإنه إذا كان أحد مثلاً معطلاً عن الشغل وطلب وظيفة من أحد الإنكليز ..

فإنه يكتب إليه كتاباً ويذكر له الشروط ..

فإذا أعجبه ذلك أجابه حالاً إلى سؤاله ..

وإلا قال له: "لا يمكنني"

فيسعى الرجل في تحصيل وسيلة أخرى.

أما عندنا فإذا طلب أحد من مخدوم وظيفة قال له:

"يا حبذا ليس غيرك أجدر بها، ولقد طالما بحثت عن رجل مثلك متصف بهذه الصفات، ولا سيما أنك أنصفت في الطلب، ولكن أمهلني ريثما أقضي وطراً لي"

فيربطه بهذا الوعد

ثم تمضي مدة والرجل راكن إلى وعده ..

فإذا سأله مرة أخرى مطله بحيلة أخرى ..

إلى أن يقول له أخيراً: "قد استخدمت غيرك"! ...

إلا أن الإنكليز غالباً قد فرعوا من هذا الأصل فروعاً لا تناسبه ..

منها أنهم يعاشرون من يكون له عنده مصلحة شهوراً وسنين ..

فإذا انقطعت أسباب المصلحة انقطعت العِشرة.

(١٨) [الأمانة]

ص ٩٧

ومن ذلك – أي من الخصال المحمودة – الحرص على ما يؤتمنون عليه ..

فإذا سلمت لأحدهم مثلاً طرساً فإنه يصونه عنده بمنزلة طرس نفسه

حتى إذا استرجعته بعد سنين أعاده عليك كما تسلمه

بل ربما أزال عنه الوسخ ورده إليك نظيفاً

وقال لك وهو معتذر:

"قد تجاسرتُ على أن أزلت الطبع عن الطرس

وأرجو أني لم أسئ فيما فعلت" ...

وإذا زارك منهم زائر فلا يمد يده ولا طرفه إلى ما بين يديك من الصحف

فإذا أراد أن ينظر في كتاب لم يلمسه إلا بعد أن يستأذنك.

وفي بلادنا إذا أعرت أحداً كتاباً أعاره هو إلى آخر .. والآخر إلى آخر .. وهلم جراً.

فربما لم يعد إليك منه عين ولا أثر
بل يرى نفسه أولى به
وإن لم يستفد منه إما لعدم قدرته على فهمه أو لكثرة أشغاله.

بل القسيسون أيضاً لا يتورعون من هذا
وإذا شرفك بزيارته فأول ما يطمح نظره فإنما هو إلى أوراقك
وحالاً يمد يده ويخطف منها ما شاء

فكأنما هو جاسوس جاءك ليطلع على أسرارك لا ليأنس بحديثك.

---

(١٩) [التخصص]

ص ٩٩

ناظر الأمور الخارجية عندهم [الإنجليز] مثلاً ليس له حق في أن يدمق [يدخل بغتة بغير إذن] على ناظر الأمور الداخلية في شيء.

وناظر مجلس المشورة ليس له جدارة بأن يحكم على أحد الباعة بشيء ... وقس على ذلك.

فأما في بلادنا – حرسها الله – فإن ناظر المدابغ جدير بأن ينظر في جلود بني آدم ويصبغها بلون الدرة والسوط ...

والمحتسب خليق بأن يزن أعمال عباد الله وأموالهم في بيوتهم .. ويروز ما في عياب صدورهم من الخواطر والأفكار.

وللحاكم أو للمطران أن يسقط حق المحق لحرف أسقطه في الكلام.

وللضابط أن يبيت الناس في مضاجعهم.

وللشرطي أن يقبض على أي شخص كان.

ولضابط العسكر أن يخترط سيفه على أي عنق سنحت له.

وللبطرك أن يحرم أي شخص كان من رعيته ...

وإلى من المشتكى؟!
وأين النصير؟!
وأين المجير؟!

فيا ليت شعري متى نصير نحن ولد آدم بشراً كهؤلاء البشر؟!

(٢٠)[حبهم للعمل وسرعتهم في الانتحار]

ص ٩٩

لا يملون من السعي .. ولا يرون في الكسل راحة.

ولا يقول أحدهم: إني كبرت عن تعلم شيء.

فلا يزالون دائبين كالنمل ما دامت فيهم نسمة تتحرك.

ومع كل هذا التجلد والتحمل ..

فمتى ضيم أحدهم أو سقط شرفه أو مال نجمه ..

فأهون شيء عليه نحر عنقه.

وذلك عندي من جملة الأفعال المتناقضة في الطبع البشري.

---

(٢١)[إثبات الزناء بين الإسلام والنصرانية]

ص ١١٩

وبقي هنا أن نقول:

إن رؤية الزوج زوجته مع رجل أجنبي في حجرتها تكفي في أكثر الأحوال لإثبات الزناء من دون "رؤية الميل في المكحلة وأربعة شهود عدول" كما يقتضيه الشرع الإسلامي

وهذا من دون هذا الوجه سديد

فإن الطلاق لما كان في الشرع مباحاً ..
ضيق على الرجل في إثبات الزناء على زوجته.

وحيث كان محظوراً في شرع النصارى إلا لأجل الزناء ..
فيسمح للرجل في إثبات الزناء عليها بمجرد خلوتها مع الرجل.

---

(٢٢) [بيع الزوجات]

ص ١٢٠

ومن الغريب هنا أنه قد جرت العادة عند العامة بأن يبيعوا نساءهم بيعاً لعدم إمكان طلاقهن.

وصورته أنه إذا شعر الرجل بأن زوجته تحب آخر ..
عرض عليها الانتقال إلى محبوبها ..

فإذا تراضيا .. أخذها وباعها له بمحضر شهود ..
وقبض منه ما يؤذن بصحة البيع ..
وتخلص بعد ذلك من تبعتها.

وفي (أخبار العالم) ما نصه:

"رجل باع زوجته في حانة لرجل بخمسة شلينات ونصف ..
وقبض الثمن بحضرة شهود .. وذهب بها المشتري ..
ولما كان الغد ندم زوجها على ما فعل ..
واستقال في البيع فلم يُقَل"

.....

وفيه أيضاً:

"أن توماس ميدلطون باع زوجته ماري ميدلطون لفيليب
روستنسن بشلينين وربع من الجعة ..
وتراضيا على الافتراق الدائم ما دام حيين".

وهذه العادة ..
وإن تكن غير مباحة في أحكام الدولة ..
إلا أنه مسكوت عنها ..
كما سُكت عن إباحة الزناء للمومسات ..
فإن الزناء هنا معلوم لأرباب الأحكام .. لكنه غير مباح.

(٢٣) [عادتهم في الزواج]

ص ١٢٠

ومن عادتهم [الإنجليز] في الزواج:

أن البنت لا تتزوج إلا من كان مساوياً لها في السن ..

أو كان أكبر منها بسنتين أو ثلاث.

وفي ذلك شطط ..

إذ لا يخفى أن المرأة متى بلغت الأربعين سنة لم يبق فيها من القوة والنشاط ما يبقى في الرجل ..

ولا سيما إذا كانت منتاقاً [كثيرة الولد].

نعم .. إن النساء هنا لا يعجل فيهن الهرم ..

فإن من يكون سنها ثلاثين سنة تبدو كمن سنها عشرون في بلادنا.

غير أن هذه الصفة تراعى أيضاً في جهة الرجال أيضاً.

وفي بلادنا لا تثريب على من بلغ الخمسين أن يتزوج بنت عشرين.

وهذا يندر هنا جداً إلا لسبب عظيم.

.....

ولا حرج على اليهود أن يتزوجوا من النصارى.

.....

وللذكر أن يعقد الزواج عند بلوغه أربع عشرة سنة.

وللبنت عند اثنتي عشرة.

.....

ص ١٢١

ولا يحل للرجل أن يتزوج أخت زوجته.

وقد كان لرجل زوجة وله منها عدة أولاد ..

فلما حضرها الموت أقسمت على زوجها أن يتزوج أختها بعد موتها لتربي أولادها فتزوجها ..

فلما عُلم ذلك في ديوان الحكم فرق بينهما.

فسألت من أخبرني بذلك عن سبب هذا الحظر ..

لأنه غير مبني على مصلحة ..

وقلت:

"إن كان تحريمه ورد في التوراة ..

فقد ورد فيها تحريم أمور كثيرة استحلتها النصارى ..

فلأي سبب أضربتم عن تلك وتمسكتم بهذه فقط؟ "

فقال:

"المصلحة في ذلك هو أن لا يتوصل رجل واحد إلى إحراز جهازين من بيت واحد".

فقلت: "ولكن الفقراء يتزوجون من غير جهاز ولا ميراث".

فقال: "إن الشرع هنا ملحوظ فيه مصلحة الكبراء".

.....

ص ١٢٢

ولا بد للمتزوجة أن تلبس خاتم الزواج في بنصر يدها اليسرى. ومن لم يكن لها خاتم لم تحسب متزوجة وإن كان لها خمسة بعول.

.....

ص ١٢٢

وعادة الأغنياء منهم أن يعتزل الرجل بعروسه بعد عقد الزواج .. فيقيم معها شهراً في خلوة عن الشغل والأهل والأصحاب.

وتسمى هذه المدة عندهم "قمر العسل".

قلت (هنداوي):

هو ما نسميه "شهر العسل" لأنه بالإنجليزية Honeymoon.

---

(٢٤) [عادتهم في الجنازة]

ص ١٢٣

وعادتهم في الجنازة أن يبقوا الميت أسبوعاً في البيت قبل دفنه.

وعند إخراج جنازته يشيعها رجال يلبسون على رءوسهم مناديل سوداء معقودة فوق برانيطهم.

.....

لا يخمشون عليه وجهاً .. ولا يشعثون شعراً.

.....

أما الكبراء .. فإنهم يبقون جنازتهم أكثر من أسبوعين .. إشارة إلى أنه غير جدير بأن يفارق هذه الدنيا.

ومن الغريب أنه إذا مات أحد منهم غريباً ..
فلا بد أن يعيدوه إلى وطنه ليدفن فيه.

فيا ليت شعري ما نفع الميت لبلاده ..
أو ما نفع بلاده له؟!

.....

والواقع أن الفرنسيس أكثر احتراماً للجنازات من الإنكليز.
فإنهم يمشون وراءها أياً كانت وهم خاشعون حاسرو الرءوس.

وحين تكون في البيت يوقدون حولها الشموع ليلاً ويجعلون لها حارساً.

.....

ص ١٢٤
والظاهر أن جميع الإفرنج يجزعون عند المصيبة ..
ولا يفوضون أمرهم إلى الله ..
وإن تلبسوا بالعبادة .. واتصفوا بالجراءة.

على أنهم لا يكادون يفجعون بموت أحد إلا ويتناسونه.

فالاستسلام لقضاء الله إنما هو من خصوصيات المسلمين.
وكفى بلفظ الإسلام دليلاً عليه.

(٢٥) [لا يعافون اللحم المنتن]

ص ١٣٠

ومن العجيب أنهم لا يعافون من أكل اللحم المنتن وغيره.

فإن الأرنب والغزال لا يأكلونهما إلا بعد خنقهما بنحو ثلاثين يوماً.

وقد دعيت غير مرة إلى موائد الموسرين ..

وشممت فيها جخر الأرنب [أي رائحته النتنة] ..

وعلى ذلك قولي:

ويأتون بالأرنب المسبطر صحيحاً كما كان يطمر طمرا

بأذنابه وبأسنانه وبأظفاره وهو يفغر ثغرا

وفي وجه كل الضيوف له ذنب شائل ودبر تعرى

ووالله بالله تالله إني شممت له جخراً ليس حزرا

وكذلك الفراخ والطيور لا يطبخونها إلا بعد خنقها بأيام.

ويقولون: إنها إذا بقيت أياماً كثيرة بعد خنقها يزيد لحمها مراءة وطيباً.

.....

والحق يقال: إن لحم البقر عندهم لا يؤكل إلا بعد ذبحه بيوم أو يومين وذلك لكثرة دمه.

.....

وعندهم صنف من الجبن يستطيبونه على غيره لكونه مدوداً.

وكنت ذكرت يوماً لأحد فضلائهم قضية أكلهم الأرنب منتناً.

فقال: "لا تعد تذكر لفظة (منتن) فإنها قبيحة تشمئز منها المسامع".

فقلت: "ما دمت أنتم تأكلون المنتن، ولا تشمئزون منه فلست بمنفك عن أن أذكره ..

وهذا كتحشمكم من أن تذكروا في كتبكم ضخم أرداف المرأة ..

مع أن نساءكم النحيفات يعظمن عجائزهن بما لا مزيد عليه من الحشايا والمرافد مما لو فعلته الفواجر عندنا لخجلن!

فأنتم حييون من الاسم .. ووقحون على الفعل!

إن هذا لغريب! "

فضحك هو وزوجته.

وقالت لي مرة إحدى النساء المخدومات:
"ما أطيب العيش في بلاد النمسا لولا أني أكره شيئاً من طبخهم"
فقلت: "ما هو؟ "
وقد توقعت أن تقول: أكلهم الأرنب منتناً.
وإذا بها قالت: "إنهم يطبخون الفراخ بُعَيد ذبحها"!
وشكوت ذات يوم لمخدومة طول استمراري على صنف واحد من الطعام.
فأرسلت إليّ خادمها في اليوم القابل يقول: "إن سيدتي تدعوك إلى الغداء".
فلما توجهت قالت لي: "إني سمعتك بالأمس تشكو من الطعام .. فصنعت لك اليوم ما يعجبك".
فلما هُيئت المائدة .. قُدّم عليها أرنب بآذانه وذنبه ..
وإذا به منتن ذفر يملأ ذفره الخياشيم ..
فتعوذت بالله!
وقلت ما قال ذلك الظريف:
"إن عمر هذا الحيوان بعد موته أطول منه في حياته"!

(٢٦)[ليس في الإنجليزية كلمة تنتهي بالواو]

ص ١٤٤

لا يوجد في لغة الإنكليز كلمة تنتهي بحرف الواو

---

(٢٧)[التمدن والساعة من المسلمين]

ص ١٦٦

أول ظهور التمدن والفنون في أوروبا إنما كان في إسبانيا .. حين كان المسلمون مستولين على الأندلس.

قال فلتير:

"وكانت ملوك الإفرنج جميعاً تستخدم الأطباء من العرب واليهود"

.....

وقال بعض المؤلفين:

إن المسلمين ملكوا من البلاد في مدة ثمانين سنة بعد الهجرة ما لم يملكه الرومانيون في مدة ثمانمائة سنة.

وقال فلتير في موضع آخر:
"وأول ساعة دقاقة عرفت في فرنسا هي التي أهداها هارون الرشيد إلى شارلمان"

وقال في (أبجدية الأوقات):
"علم الحساب إنما أخذ عن العرب في إسبانيا"

.....

قال مؤلف كتاب (المخترعات العجيبة):
ذكر المؤرخون من الفرنسيس أن أول ساعة عُرفت في بلادهم كانت الساعة التي أهداها الخليفة هارون الرشيد إلى شارلمان ملك فرنسا ..
وذلك في سنة ٨٠٧
وكانت بِدْعاً في ذلك العصر ..
حتى إنها أورثت رجال الديوان حيرة وذهولاً ..

والظاهر أنها كانت من الآلات التي يديرها الماء المنحدر ..
وكان لها اثنا عشر باباً صغيراً تنقسم بها الساعات
فكلما مضت ساعة انفتح باب وخرج منه كرات من نحاس صغيرة تقع على جرس فيطن بعدد الساعات

وتبقى الأبواب مفتوحة
وحينئذ تخرج صور اثني عشر فارساً على خيل وتدور على صفحة الساعة"

.....

قال: وكان ألفرد الكبير ملك الإنكليز يأمر باتخاذ شمع ..
طول كل شمعة اثنتا عشرة إصبعاً
ويعلّم كل منها بعلامات متساوية منقسمة إلى أربعة وعشرين قسماً
كناية عن الليل والنهار
فكان يأمر بإيقادها متعاقبة ليلاً ونهاراً
ويجعلها في قرن رقيق شفاف صوناً لها من الريح
ولم يعلم عمل الساعات الدقاقة إلا بعد موته بقرون عديدة
أما تقسيم اليوم إلى أربع وعشرين ساعة فمعروف من قديم الزمان"

قلت [الشدياق]:
ومن محفوظي أنه ذكر في (المصباح المنير) للفيومي:
أن أهل الحساب اصطلحوا على أربعة وعشرين قيراطاً

لأنه أول عدد له ثُمن ورُبع ونصف وثُلث صحيحات من غير كسر

---

(٢٨)النظر في أمر المومسات

ص ٢٢٢:

فإنهن في باريس يُمتحنّ في كل أسبوعين ..
فإذا رأى الطبيب إحداهن مريضة بالداء المعروف ..
أرسلها إلى المستشفى لتتداوى هناك ..
فلا تخرج منه إلا بعد أن تشفى.

فأما في لندرة [لندن] ..
فقد تطوف المومسة والداء أفسد آرابها وأحشاءها ..
فيمكن أنها في ليلة واحدة تُعدي جمعاً.

ولا جرم أنه حيث كانت هذه المفسدة في المدن الجامعة مما لا يُستغنى عنه ..
وكانت هؤلاء المتهالكات على الدينار وقايةً لعِرض الحرائر ..
كان النظر في أحوالهن يُعد من المصالح.

قلت (هنداوي):

كانت النظرة الدائمة السائدة لدى الغرب:

أن البغاء وقاية للحرائر.

أي أنه بدون بغايا ..

لن يجد الرجال ما يصرفون فيه حاجتهم من الجماع ..

فيتعرضون للحرائر بالتحرش والاغتصاب.

من هنا حرصوا على وجود البغاء وشيوعه صيانةً للحرائر!

جاء في (قصة الحضارة) لـ (ول ديورانت)

عصر الإيمان - <

المسيحية في عنفوانها - <

الأخلاق والآداب في العالم المسيحي -<

الآداب قبل الزواج

صفحة رقم: ٥٧٧٠:

((أباحت بعض المدن ..... هذه الدعارة قانوناً.

ووضعتها تحت إشراف البلديات

بحجة أنه بغير هذا الدنس لا تستطيع النساء الصالحات أن يخرجن إلى الشوارع وهن آمنات على أنفسهن.

وكتب القديس أوغسطين يقول:
"إذا مُنعت العاهرات والمواخير، اضطربت الدنيا من شدة الشبق".
ووافقه على ذلك القديس [توما الإكويني].
وكان في لندن في القرن الثاني عشر صف من "المواخير" بالقرب من جسر لندن. وقد أجاز أسقف ونشستر في بادئ الأمر قيامها، ثم صدق البرلمان على قيامها فيما بعد.

.....
وقرر لويس التاسع في عام ١٢٥٤ نفي جميع العاهرات من فرنسا.
ونفذ هذا القرار فعلاً.
ولكن الدعارة السرية لم تلبث أن حلت محل التجارة العلنية.
حتى [شكى] أهل الطبقات الوسطى من أنه يكاد من المستحيل حماية الفضيلة لدى زوجاتهم ونسائهم من إلحاح الجنود والطلاب.
... حتى ألغي [القرار] في عام ١٢٥٦.

وحدد المرسوم الجديد الأماكن التي تستطيع فيها العاهرات أن يسكن ويمارسن مهنتهن في باريس.

وحدد أيضاً ملابسهن وزينتهن.

وأخضعهن لرقابة رئيس من رؤساء الشرطة يسمى ملك القوادين أو المتسولين أو الأفاقين Roi de Ribauds.

ونصح لويس التاسع وهو يحتضر ولده أن يعيد المرسوم الذي قضى بنفي العاهرات.

ونفذ فليب وصيته.

وكانت النتيجة هي النتيجة السابقة نفسها.

وبقى القانون مدوناً في سجل الشرائع الفرنسية ولكنه لم ينفذ.

وكان في روما، كما يقول الأسقف دوران الثاني المندى (1311) Bishop Durand II of Mende، مواخير بالقرب من الفاتيكان، وقد أجاز رجال البابا إقامتها نظير ما يتقاضون من الأجور)).

انتهى المنقول من (قصة الحضارة).

(٢٩) [من مشكلات الترجمة الخاطئة]

ص ٢٢٥:

التوجه إلى لندرة لمشاهدة معرض التحف

.....

وكان أحقر موضع فيه الموضع الذي نُضِّد فيه ما بُعث من أقطار مصر

وسبب ذلك فيما بلغني:

أن البرنس ألبرت لما أرسل كتباً إلى جميع الدول يخبرهم بهذا المقصد

وطلب إليهم أن يرسلوا من بدائع صنائع بلادهم

ترجمت لخديو مصر لفظة الصنائع بالأرض

إذ كانت صورة الخط فيهما متقاربة تقاربها في النطق

فإن مرادف الصنائع في الإنكليزية "آرتس"

ومرادف الأرض "إرث"

فلذلك لم يبعث من مصر إلا القطاني وبعض أشياء أخرى لا طائل تحتها.

(٣٠) [المسرحيات والروايات]

ص ٢٦١:

وحيث قد جرت العادة بأن ابتداء اللعب [التمثيل على المسرح]

يكون غالباً في الساعة السابعة

وختامه بعد الحادية عشرة

كان كثير من ألعابهم سخيفاً

فلو قصروا الوقت وأجادوا اللعب لكان أولى

وهذا كالتزام بعض المؤلفين عندهم لنوع يسمى "نوفل"

وهو أن يجعلوا الكتاب ثلاثة مجلدات

فيسفسفون ويدنقون

ويأتون بالغث والسمين

---

(٣١) [مديونية الدول]

ص ٢٨٩:

واعلم هنا أنه إذا قيل إن دولة إنكلترة مديونة

فلا تتوهم من ذلك أنها ضعيفة

فإن نفع هذا الدين يئول إلى رعيتها

حتى إن جل الدائنين لا يريدون استيفاء دينهم مرة واحدة

لأنهم يأخذون فائدته في كل سنة

وهو مأمون لهم ما دامت الدولة قائمة

ومعلوم أن غنى الدولة يكون من غنى رعيتها

وسعادتها من سعادتهم

ولا يخفى أن جميع الدول مديونة

.....

وهذا الدين على الدول هو من قبيل لجام للرعية
يكبحهم عن المعامع والفتن

فإن الدائنين الذين هم بالضرورة وجوه أهل البلاد وأغنياؤها

لا يرضون بانقلاب الدول

مخافة أن يئول الحكم إلى الرعاع فيحرموا منه

(٣٢)((شهادة الشدياق على أدعياء الاستشراق))

أن يجهل الأعجمي الألكن أصول العربية ومبادئها .. فهذا أمر مفهوم.

أمّا أنه مع هذا الجهل يتصدر ليفتي الفصحاء في لغتهم .. فهذه وقاحة غير مفهومة!

فيما يلي شهادة أسطون من أساطين العربية في العصر الحديث على أدعياء الاستشراق.
اسمه "فارس بن يوسف بن يعقوب" .. أديب لغوي من الوزن الثقيل.

كان نصرانيًا .. ثم أسلم ١٨٥٧ م .. وسمّى نفسه "أحمد فارس".

أما "الشدياق" فهو لقب معناه المتبحر في العلم، ويعبر عن رتبة كهنوتية.

لقد طُلب من الشدياق المساعدة في ترجمة التوراة والإنجيل إلى العربية.

وذلك في أثناء السنين العشر التي قضاها في إنجلترا وفرنسا.

كان هذا قبل انتقاله إلى تونس التي سيعلن بها إسلامه فيما بعد.

سنرى أدعياء الاستشراق يجهلون مبادئ العربية .. ومع هذا يتبجحون بالإفتاء فيها.

سنرى أن القوم يلازمهم - منذ القديم - هوس القول بأن العربية لهجة سريانية أو عبرانية!

وسنرى - على أيدي هؤلاء - "امرأ القيس" (بتاعنا) يصوغ معلقته بالعبرانية!

نعم! .. إن كنت تظن أن "امرأ القيس" كان يتكلم العربية وينشد شعره بها .. فأنت واهم!

هذا ما يحسبه السذج أمثالي وأمثالك!

أما أدعياء الاستشراق فيقولون لك في ثقة:

لم يكن "العرب" يعرفون "العربية" آنذاك يا أحمق ليتحدثوا بها!

لم تكن "العربية" آنذاك "عربية" كما صور لك جهلك!

كانت "العربية" حينها – وافهم – خليطاً متنافراً من العبرانية والسريانية!

وهم يؤكدون لك أن هذه الحال استمرت حتى بعد الإسلام بعشرات السنين!

ثم يتركوننا – ويا للحسرة! – ولا يخبروننا أبداً متى نشأت "العربية" – التي هي "عربية"! – ولا أين نشأت .. ولا أول مَن جرؤ على التحدث بها!!

إليك مقاطع من كلام الشدياق ..

بداية من ص ٦٧ من كتابه (كشف المخبا عن فنون أوربا):

قال (رحمه الله):

لا يأخذون اللغات عن أهلها.

...

أحدهم لا يبالي أن يؤدي معنى الترجمة بأي أسلوب خطر له .. فلو قرأ سبًّا في كلامنا مثلاً بأن قال أحد السبابين لآخر: «يحرق دينه» ..

ترجمه بأن دينه ساطع ملتهب .. من حرارة العبادة والغيرة!

...

ليس – لعمري – علمُ لغتنا عندهم سوى سببٍ يُتوصَّل به إلى النتف من غيرها كالعبرانية والسريانية.

فإن هاتين عندهم أهم وأنفع.

...

الدكطر «لي» هذا كان يُدرِّس العربية في كمبريج.

ولم يكن يحسن التكلم بها ولو بجملة واحدة!

...

قال [أي د. "لي"]:

أتدري ما الألف التي في قول "امرئ القيس":

«قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل»؟

قلت: هي ألف التثنية عند بعض.

فإن الشاعر خاطب صاحبين له، وذلك مستفيض في كلامهم.

وعند بعض أنها مقلوبة عن نوع التوكيد.

قال: «هذا كله تمحل وتعسف، وإنما هي مقلوبة عن الهاء من العبرانية، فإن اليهود يلحقون الهاء بفعلي الأمر والنهي دلالة على الطلب والتوسل»

...

وقال لي يوماً: «أتدري من أين اشتقاق الزناء؟».

فقلت: «لا».

قال: «من العبراني .. فإن زنى فيها بمعنى "باع" .. فكأن الزانية تبيع نفسها للرجل».

...

وقال أيضاً: إن "يومنا" في قول العرب إلى "يومنا هذا" من السرياني وهو "يومنان".

...

في مثل قولنا "ضرب لهم مثلًا" .. كان [د. "لي"] يُبدل "ضرب" بـ"قال".

لأنه كان يترجم في عقله لفظ "ضرب" إلى لغته .. فلا يجد له معنى سوى إيصال الألم!

...

وكلما رأى في الأصل عبارة كثيرة الألفاظ مما لا داعي له .. قال: "إن ذلك للتقوية"!

وإذا رأى فيه إجحافًا ولو مع إخلال المعنى .. قال: "إن فيه حذفًا للبلاغة"!

...

مررت بأكسفورد .. وقصدت أن أرى خزانة الكتب فيها.
فسالت بواب المدرسة عن شيخ العربية ليهديني لها .....
ثم بعد طول بحث ومعالجة اهتديت إلى دار الشيخ.
فقابلته وسألته أن يريني المكتبة تفضلاً وتكرماً .. فأجاب إلى ذلك وسرنا معاً.

وأول كتاب فتحه كان بالخط الكوفي.

وإذا في أول الصفحة لفظة "ألا" .. فقرأها "إلا".
وفسرها أنها "الله"!

فتعجبت كيف أنه انخدع فهمُه لسمعِه!

لأنهم جميعاً يلفظون اسم الجلالة مرققاً هكذا.

انتهى ما أردت اقتباسه - بتصرف - من كلام الشدياق (رحمه الله) من كتابه (كشف المخبا عن فنون أوربا).

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات